ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

Some Aspects Of Political Struggle In Late Period

Ahmed Ali Tawfik
(Master)Degree –Ancient History Department Faculty of Women for Arts, Science & Education Ain Shams University - Egypt
najmwy@gmail.com
Aisha Mahmoud A. Aal
Professor of Egyptology, Ancient History Department Faculty of Women for Arts, Science & Education Ain Shams University - Egypt
nfrt111a@gmail.com
Ali A. Halim Ali
Professor of Egyptology, Archaeology Department Faculty of Arts Ain Shams University - Egypt
Ali.abdelhalim@arch.asu.edu.eg

Receive Date: 28-12-2021, Revise Date: 7-5-2023، Accept Date: 2-6-2023.

DOI: 10.21608/BUHUTH.2023.113577.1264
Volume 3 Issue 7 (2023) Pp.1-15

Abstract

An era of weakness, The Third Intermediate Period or The Late Period, thus the Egyptian kings were so weak, as well as the high officials were not loyal. Beyond, the foreigners expanding through all the Egyptian lands. These days The Egyptian Empire power took a way to weakness, and decaying after Ramsses III till King Harihor, with Libyan origins, was crowned on the Egyptian throne. The Kings of XXV Dyn. tried to keep the Egyptian lands unified under their reign, taking responsibilities of governing Egypt as rulers. Their first king was Pi-Ankhy who played a rule with his expedition to establish the Egyptian royal regime, ending public disorder and increasing disturbance. The military and political struggle was of the duty this dynasty and its kings.

The Egyptian law, in the light of the Seti I decree, asserted to serve the holiness of the Egyptian temple, and sanctity of the gods. It was forbidden in the eyes of Egyptian law to intervene this holiness. According to this, the penalty was stressed to be extreme on the criminal, and that was the manner of the 25 Dyn. and kept the Egyptian legal heritage in this point even in the most hard times of struggling with the 23 Dynasty and 24 Dynasty thus this struggle were seen:

- Reestablishing the regime
- **Forcing the authority of the righteous king**
- **Stopping struggling and fighting.**

Keywords *violence, Third Intermediate Period, political struggle, history of Law*

بعض مظاهر الصراع السياسي بين الأسرات

في العصر المتأخر

أحمد علي توفيق
باحث ماجستير- القسم: التاريخ القديم
كلية البنات - جامعة عين شمس - مصر
najmwy@gmail.com

ا.د. عائشة عبد العال
أستاذ المصريات بقسم التاريخ القديم بكلية البنات
جامعة عين شمس - مصر
nfrt111a@gmail.com

ا.د. علي عبد الحليم
أستاذ الآثار المصرية بقسم الآثار
عميد كلية الآثار جامعة عين شمس- مصر
Ali.abdelhalim@arch.asu.edu.eg

المستخلص:

كان ضعف الملوك، واعتلاء موظفين غير مخلصين إدارة شئون البلاد إلى جانب ازدياد وجود الأجانب في مصر من أهم سمات الضعف التي أصابت مصر في العصر المتأخر أو كما يسميه البعض عصر الانتقال الثالث، حيث أخذت قوة الإمبراطورية المصرية في التلاشي والتداعي بداية من أواخر عصر رمسيس الثالث حيث خلف رمسيس الثالث ملوك ضعاف وتسلل كبار كهنة آمون إلى كرسي العرش لضعف نفوذهم، حتى إعلان كبير الكهنة (حريحور) نفسه ملكا على عرش مصر. حاول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الحفاظ على وحدة البلاد، ورأوا في أنفسهم الوريث الشرعي للعرش وأخذوا على أنفسهم القيام بواجبات الملك الشرعي للبلاد، وأولهم الملك بعنخي، ليقوم بإعادة استتباب النظام العام والقضاء على الاضطراب الذي شاع في البلاد، وقام ملوك هذه الأسرة بالسعي في ضوء المجهود السياسي، والمجهود العسكري للقيام بدورهم الحضاري. راعى القانون المصري في ضوء مرسوم سيتي الأول آداب وحرمات معبد الآلهة، وتحريم انتهاك تلك الحرمة مهما كان الداعي، وتشديد العقوبة على من يخالف ذلك، واستمرت الأسرة الخامسة والعشرون في مراعاة تلك الحرمات واحتفظوا بميراث الحضاري للملوك المصريين حتى في أشد أوقات الصراع العسكري مع ملوك الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين، ويظهر ذلك في العديد من المعارك التي دارت بينهم حيث يستطيع الملك ببصيرة نافذة التفريق بين الغرض العسكري وبين أن يتعدى الأمر عن حد الردع إلى مرحلة العنف غير المبرر، وكانوا هؤلاء الملوك يبصرون أولويات الجهاد العسكري أمامهم واضحة، ودورهم فى إعادة استقرار البلاد ، فرض نفوذ الملك الذي يرى في نفسه أنه الأصلح ، و وقف الصراع والقتال فور إعلان الاستقرار على يد الملك المنتصر.

الكلمات الدالة: العنف، الردع، العصر المتأخر، الصراع السياسي، تاريخ القانون

المقدمة

لم يتخذ ما وقع بين أهل كوش وأهل الدلتا تحت زعماء سايس هيئة الصراع العنصري، ولم يكن غزوا خارجيا واجهته مقاومة وطنية، ولكنه كان عبارة عن صراع على السلطة بين القوتين السياسيتين الموجودتين حينها، وربما كان تقريبه إلى الذهن بصورة الحرب الأهلية كما يرى جاب الله (جاب الله، 1996: 5) ولا يجب أن يغيب عنا خطاب الملك (بعنخي) في أوامره وتعليماته لجيشه، شعوره بذاته وبأهله بأنهم يمثلون امتدادا للحضارة المصرية، وإنقاذ مصر وطنه من وعكتها السياسية آنذاك.

اعتبر المؤرخون الفترة الممتدة من أواخر الأسرة التاسعة عشرة وحتى العصر الصاوي (عصر الأسرة السادسة والعشرين) عصر الانتقال الثالث في التاريخ المصري، كما أطلق عليها البعض العصر المتأخر، وقد اتسم هذا العصر بسمتين أساسيتين (صابرين عبد الله فهمي، 2019 : 156) كانتا وراء مظاهر الاضطراب والضعف التي أصابت البلاد في هذا العصر:

الأولى: ضعف الملوك، واعتلاء موظفين لا يتسمون بالإخلاص لإدارة شئون البلاد.

الثانية: ازدياد واستفحال الوجود الأجنبي في مصر، وبخاصة العنصر الليبي الذين استطاعوا استقرار والوصول إلى سدة الحكم.

أخذت قوة الإمبراطورية المصرية في التلاشي والتداعي بداية من هذا العهد، أي منذ أواخر عصر رمسيس الثالث بعد أن كانت إمبراطورية تدين لها الدول بالهيبة والرهبة. وقد خلف رمسيس الثالث ملوك ضعاف تسلل كبار كهنة آمون إلى كرسي العرش لضعف نفوذهم، حتى أعلن كبير كهنتهم (حريحور) نفسه ملكا على عرش مصر (أحمد فخري، 2012: 299) .

استمر حكم هؤلاء الملوك الكهنة حتى آل عصر الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين إلى الفوضى والاضطراب، ووجد الملك (بعنخي) ذلك دافعا لدخول أرض مصر من الجنوب وأرسل جيشا حربيا وصل إلى طيبة ومعبد الكرنك، واستمر هذا الجيش في الزحف حتى اصطدم مع قوات الملوك المتمركزين في الدلتا.

حاول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الحفاظ على وحدة البلاد، ورأوا في أنفسهم الوريث الشرعي للعرش ومن ثم أخذوا على أنفسهم إقامة الماعت، وإعادة استتباب النظام العام ومن ثم القضاء على الفساد والاضطراب الذي شاع في البلاد حينها، تتمثل هذه المحاولات فيما يلي:

- المجهود السياسي
- النضال الوطني (المجهود العسكري).
- المجهود الحضاري متمثلا في ترسيخ التقاليد الحضارية والدينية كإعادة عبادة آمون رع.

صار جدل بين العلماء حول أصول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، وانحصر رأيهم في عدة آراء نعرض لها:

- رأى ج. رايزنر وكيس أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين يعود أصلهم إلى جنوب ليبيا، ودليلهم على ذلك بعض الأدلة المادية الأثرية مثل رؤوس سهام من مقبرة تابيري –زوجة الملك بعنخي- وقد اتخذت على إحدى لوحاتها لقب (عظيمة التمحو) في حين توجد قراءة أخرى لهذا الاسم وهو "تا-عات خاست" أي عظيمة البلاد الأجنبية.
- الرأي الثاني حول أصول الملوك الجنوبيين (ملوك الأسرة الخامسة والعشرين)، زيتبنى هذا الرأي كل من شارف وفانديه- دريوتون، وأحمد فخري وعبد العزيز صالح. يقول هؤلاء بأن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين يعودون إلى أصول مصرية لأنهم سلالة كهنة آمون الذين عاشوا في النوبة بعدما تقلد شاشنق الأول السلطة في مصر، وأدلتهم في ذلك التطابق بين اسم الملك (بي) مع اسم أحد الكهنة من سلالة حريحور الطيبي، وهناك أيضا دليل حضاري حيث عبادة آمون رع في كوش وبخاصة في نباتا. (جاب الله، 1996: 53)
- الرأي الثالث يتزعمه جان يويوت، ويرى بأن السمات المحلية المميزة لملوك هذه الأسرة لا تدع مجالا للشك بانتمائهم إلى بلاد كوش، وتنحصر في الملامح الزنجية للأمراء النوبيين، ودور الملكة الأم البارز، كذلك قانون انتقال السلطة من الأخ إلى الأخ ثم العودة إلى أبناء الأخ الأكبر. (جاب الله، 1996: 53، 54) ففي حين يميل إلى هذا الرأي جاب الله علي جاب الله، حيث يرى أن النوبيين قد وقعوا تحت التأثيرات الحضارية للحضارة المصرية، من حيث اللغة المصرية القديمة أو عبادة آمون.

ونجمع بين أدلة الآراء الثلاثة بأن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين قد اختلط نسبهم المصري الذي يعود إلى كهنة آمون والذين قد يكون هؤلاء الذين أقاموا جالية مصرية منذ عهد الملك رمسيس الثاني في الجنوب، وفي اختلاطهم بأهل الجنوب اكتسبوا الملامح الزنجية والعادات الحضارية والتقاليد الملكية لأهل الجنوب، فالأصل فيهم الدماء والعادات والتقاليد المصرية والثقافة المصرية، على عكس ما يقوله جاب الله بأنهم نوبيون وتمصروا. (أحمد علي، 2010: 30).

تبنى الكاتب وي آدامز وجهة نظر تحاول إبراز الحضارة المصرية وخاصة الفرعون رمسيس الثاني في هيئة الحاكم الإمبريالي المتغطرس، الذي عانت من ويلات غزواته الأمم، فيطرح آدامز صورة للمجتمع النوبي قبل الغزوات المصرية في شكل الرعاة، ويعتبر رمسيس الثاني ملك مدمر، وعلى حد قول باري كيمب "الفرعون المصاب بجنون العظمة" لينتهي الأمر بأسرة كوش إلى أن يتقلدوا عرش البلاد المصرية في غزوتهم (Kemp, 1991: 350) ولا شك أن هذه الرؤية للحضارة المصرية على أنها حضارة غزاة تنبع من وجهة نظر المركزية الأوربية، بل تمتد الآن في مجال الكتابات التاريخية والثقافة العامة إلى ما يدعى المركزية الإفريقية Afro-centric وادعاءات مجموعة من الباحثين الذين يتبنون نسب الحضارة المصرية إلى أصول إفريقية دون أية تأثيرات أخرى، ولا شك أن مثل هذه الدعاوي مدعاة لتحميل السياق التاريخي للحضارة المصرية والخروج بالأحداث عن مسارها المنطقي، وقد يلصق بالحضارة المصرية ما ليس فيها سواء بأسلوب متعمد أو غير مقصود، وإظهارها على أن تبناها أقوام محبون للصراع والعنف.

وصلتنا من عهد الملك باي عنخ ابن حريحور أنباء عن تعرض الفرعون لإحدى التهديدات من اثنين من الميدجاي اللذان قاموا بالخوض في الذات الملكية وشئون الفرعون وإفشاء أسراره، كانت هذه الجريمة تعد من جرائم الخيانة العظمى، وكانت إذا ثبتت أركان الاتهام كانت العقوبة هي الإعدام (منال محمود محمد،2003: 106) ولذلك نجد أن الفرعون قد أصدر قراره بالتحقيق في الأمر، وأصدر الحكم على الجناة

أنه في حال ثبوت التهمة على الجناة أن تكون العقوبة هي التخلص منهم بالقتل وإلقائهم في النهر ليلا دون أن يشعر بذلك أحد. (A. H. Gardiner, 1913: 60)

دور الملك في مصر القديمة وواجباته:

للملكية المصرية ميراث عتيق في تحديد وترسيخ الواجبات المفروضة على الملك المصري حين اعتلائه العرش، ومن أهم هذه الواجبات:

- تاسيس الدولة على نظام قانوني، يسمح باستمرار سياسيا دون انفصال.
- أن يقوم على استمرار وحدة الدولة السياسية وذلك من خلال مركزية العاصمة- توحيد قوة أمراء المقاطعات وتسخيرها في تنفيذ إرادة الحكومة وسير سياستها داخليا وخارجيا.
- إقامة العدالة في الشعب والنظام الكوني (الماعت).

وملوك الأسرة الخامسة والعشرين اتخذوا لأنفسهم جميع الألقاب الملكية المصرية، فلا يختلفون عن أي ملك شرعي حكم البلاد من قبل، وهم أبناء الكهنة الذين استقروا في الجنوب واتخذوا من جبل البرقل مركزا لهم ولعبادة آمون رع، في حين اتخذوا من نباتا نقطة مركزية لانطلاقهم في جهادهم المقدس لإعادة توحيد البلاد، و كان الملك بعنخي هو أول ملوك هذه الأسرة، وهو بالطبع من سلالة كهنة آمون في بلاد كوش، وهم أحفاد كهنة آمون رع الذين امتدت بهم أصولهم إلى بلاد طيبة المصرية وترعرعوا فيها منذ عصر الأسرة التاسعة عشرة. (أحمد فخري، 1998 : 345؛ عبد العزيز صالح، 1990: 307)

ولعل ما وصلنا من أخبار حملة الملك بعنخي على الجنوب، ودخوله إلى طيبة فاتحا يقودنا إلى أمرين:

الأول: اضطراب أحوال الحدود الجنوبية لمصر، وبعد مدنها عن الاستقرار السياسي، حيث انفلت زمام الأمر من يد حكام الأسرات الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين اللتان حكمتا البلاد في الشمال.

الثاني: اعتبر الملك بعنخي حملته تلبية لنداء الواجب نحو حماية معبد آمون بالكرنك، حيث أن تدنيس المعبد المصري يقع في نظر المشرع المصري موقع الكفر الديني، ويعد انقلابا في موازين الأمور، ولذلك قام المشرع بتوقيع أقصى عقوبة على أي إنسان يمسّ المعبد بسوء، ويبدو أن بعنخي أدرك فداحة الأمر واضطراب شئون كهنة الكرنك، وكان ذلك هو الدافع الحقيقي والمبرر الرئيس للقيام بحملته تلك كما زعم في نقشه.

وعلينا أن ندرك الدور الذي لعبه ملوك الأسرة الخامسة والعشرين في إنقاذ مصر في هذه المرحلة من السقوط في هاوية التخلف، وتآكل الحضارة. إن الدور الحضاري للملك صار يأخذ منحنى جديدا أكثر واقعية في الدراسات الحديثة للحضارات (Kemp, 1991: 351)، فلولا التدافع والتدخل السياسي و العسكري في شئون الأسرات الضعيفة أو إبان المراحل الانتقالية للحضارة –مثلما هو الحال هنا في الأسرات من الثالثة والعشرين إلى الخامسة والعشرين- لأصابت الحضارة الركود، وكانت لا تزال البشرية راكدة في العصور الحجرية لم تتحرك في مسيرة الحضارة قيد أنملة.

كان لدى الملك المصري الوازع الأخلاقي، والحس الوطني الذي يحفظ عليه وجنوده أثناء الحرب أن يكون ملتزما بواجباته العسكرية وأهدافه في تحقيق دور معاركه، والاكتفاء من القتال بالقدر الذي يتحقق به استتباب الأمن، أو ردع الأعداء، أو حتى دفع جيش الحاكم المنافس الذي قد يكون حربه صراعا على عرش البلاد. فإذا نظرنا إلى بعنخي وجدنا أنه امتلك البصيرة النافذة في التفريق بين الغرض العسكري لحملته وبين أن يتعدى أمرها عن الردع إلى مرحلة العنف غير المبرر، فكان بعنخي يصدر أوامره ويشدد فيها على جنوده بأن يتحروا حرمة معبد الكرنك وقدسيته، وأن يتجنبوا الوقوع في أذى أو أعمال عنف ضد أي إنسان (رمضان السيد، 1993: 249) يقول بعنخي في نقشه:

"وعندما تصلون إلى طيبة أمام الكرنك، اغتسلوا في النهر المقدس، وارتدوا الملابس النظيفة، وأرخوا أقواسكم واركعوا على الأرض قائلين له: أرشدنا كي نحارب في ظل سيفك."

ويدل ذلك على ما لدى الحاكم المصري من رؤية يفرضها عليه نظام الملكية في مصر القديمة بحفظ النفس، ومراعاة القتال والردع العسكري..

وبعنخي ها هنا يؤكد على دور الملك المصري في إعادة استتباب النظام (الماعت)، ويندرج تحته مفهوم الإحساس بالأمن الذي يعكس الشعور بالطمأنينة، فإدراك الأفراد لوجود سلطة أعلى وأقوى تستطيع المحافظة على أرواحهم وأموالهم وتردع أعداء البلاد وتقتص منهم فهذا يوفر لأفراد الشعب السكينة ويضمن لهم الأمان. وعلى العكس، فالمجتمع المضطرب أمنيا فهو الذي يخفت فيه صوت القانون ويهتز فيه النظام وتضعف سلطة الدولة فلا تستطيع أن توفر الحماية ولا أن تفرض السلام (بهاء الدين إبراهيم، 1986: 3).

وإذا كان يدل نقش بعنخي على الرقي الإنساني حتى في أوقات الحرب فإن ذلك لم يكن بالمرة الأولى في الحضارة المصرية، فكان الملك سيتي الأول من عصر الأسرة التاسعة عشرة قد أصدر مرسوما يؤكد فيه على احترام قدسية المعابد، (I. Harari, 1974: 60) ويعكس لنا هذا المرسوم موقع التقديس والحماية الكاملة لمؤسسة المعبد في نظر القانون والتشريع المصري القديم، إذ يوصي هذا المرسوم بتوقيع أقصى العقوبة على من يقوم بتدنيس حرمة هذه المعابد (منال محمود محمد، 2003: 116)، فتكون عقوبة الإعدام على الخازوق من نصيب من يتعدى على إحدى ممتلكات المعبد أو يهين قدسيته، أو يعاقب المجرم بإحدى صور العقوبة البدنية الأخرى كأن يجدع أنفه أو تملص أذنيه، علاوة على دفع غرامة مالية تبلغ 100 مثل ما أفسده مقترف هذه الجريمة.

الصدام بين الأسرتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين:

عاصرت الأسرة الخامسة والعشرون كلا من الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين، وقد تكونت الأسرة الرابعة والعشرون من ملكين هما: تف-نخت، وباك-إن-رنف (بوخوريس) وقد حكمت من غرب الدلتا في مدينة صا الحجر (سايس)، في حين كان الملك بعنخي يحكم البلاد من كوش، (رمضان السيد، 1993: 250) وقد امتدت سلطة (تف نخت) حتى منف إلا أن بعنخي –كما تسرد علينا لوحته الشهيرة- اصطدم بقواته الزاحفة نحو الشمال مع هذه القوات إلى أن استطاع الاستيلاء على منف، ووصل إلى حدود

الدلتا الشمالية، وعلى أقصى تقدير فإن المعسكرين الشمالي والجنوبي كانا يتمتعان باتزان كفتي القوى، إذ يستمر حكم تف-نخت للبلاد، في حين يتقهقر جيش الجنوب دون تحقيق وحدة سياسية ويستمر افتقار الدولة لاستقرارها.

وتذكر الحوليات أن باك-إن-رنف استمر في الحكم لمدة ستة سنوات فقط، وكان رجل قانون ومشرعا وصاحب حكم يقتدى به، ولم تعترف به طيبة ملكا على مصر، (رمضان السيد، 1993: 251) ويبدو أن في عصره قد بدأت مخاطر الآشوريين تتهدد البلاد، وكان باك-إن-رنف مسارعا في إرسال حملة إلى فلسطين لإيقاف هذا الخطر الآشوري، وكانت هذه القوات سببا في إشعال ثورة ضد الآشوريين هناك ولكنها سرعان ما دحضت على يد الجيش الآشوري. وفي حين يرى **دوما** أن باك-إن-رنف قام بإرسال الهدايا إلى سرجون الثاني ملك آشور، فإن هذه المهادنة كانت في الوقت الذي بدأ يتهدد الحدود الجنوبية خطر القبائل النوبية، في حين يرى عبد الحميد زايد أن الذي قام بإرسال هذه الهدايا هو الملك شباكا بنفسه. ولا نزاع في النهاية حول أن البلاد في هذا الموقف كانت تتهددها مخاطر العدوان الآشوري، وأنه رغم الصراعات بين بيتي الشمال والجنوب وعدم استتباب الوضع السياسي إلا أن أولويات الدفاع تفرض على الحاكم درء هذا الضرر المحدق بالبلاد.

يستمر الصراع بين الجنوب والشمال، ويحاول بعنخي مرة أخرى أن يفرض سيطرة قواته على الشمال، فتحاصر قواته مدينة هرموبوليس في مصر الوسطى، وكان ملكها نمرود حليفا للملك تف-نخت، وبعد أن يستمر الحصار لمدة اسابيع أصاب أهل المدينة المجاعة، وخرج النواب جاثين على وجوههم أمام الملك، وينتهي المشهد بإصدار عفو عام (رمضان السيد، 1993: 252 ؛ أحمد فخري، 2012 :320) يخاطب فيه بعنخي الملك نمرود:

"من أضلك حقا لكي تعرض حياتك للهلاك بمحاربتك لي؟ إنني كنت أرغب فقط في أن ينحني أمامي شعب مصر العليا، وأن يقبل شعب مصر السفلى حمايتي".

إذن فأولويات الجهاد العسكري واضحة:

1- إعادة استقرار البلاد. 2- فرض نفوذ الملك الذي يرى في نفسه أنه الأصلح.

3- وقف الصراع والقتال فور إعلان الاستقرار على يد الملك المنتصر.

فلم يكن الحاكم المنتصر متعطشا للدماء، أو راغبا في نشر الفوضى، وفي ذلك ملمح هام يدل على وعي الملكية المصرية بالدور الثانوي للحرب والقتال في تحقيق الاستقرار، وأن بمجرد تحقيق الهدف بإقامة شرعية حكم مستقرة يجب إيقاف الحرب فورا، ويستمر تحقيق هذا المبدأ في سياسة بعنخي بعد أن أصدر العفو العام عن نمرود، فيدخل هرموبوليس مسالما ويؤدي الطقوس في معبد تحوت.

ويؤكد بعنخي على الرأفة والرحمة في قلبه (رمضان السيد، 1993: 253) حين يتوجه إلى اصطبل الخيول بقصر نمرود في هرموبوليس ويرى الخيول تتضور جوعا، فيقول تأثرا:

"لحق حب المعبود لي، أقسم أنني أشعر بالألم الشديد أمام هذه الخيول الجائعة أكثر من كل ما اقترفه النمرود".

ويتجلى مرة أخرى مراعاة جوانب الردع العسكري مع تعديه إلى العنف غير المبرر حين يصدر بعنخي عفوا عاما عن مدينة اللاهون، ولا يقتل أحدا من أهلها رغم رفضهم لحملته بالدخول إليهم، ثم يهدي خزائن المدينة إلى معبد آمون بالكرنك، ويكون ذلك أسلوبه ايضا حين حاصر منف، رغم القتال الشديد- إلا أنه بعد دخولها يحرص على تأدية الطقوس للإله بتاح، ويهدي الغنائم مناصفة بين معبودات منف المحلية ومعبد الكرنك.

نهاية الصراع :

هرب تف-نخت من وجه بعنخي، وحاول بائسا تجميع قواته للرد على بعنخي، لكنه لجأ إلى مستنقعات الدلتا، ليتلقى منه بعنخي رسالة يقول فيها تف-نخت:

"إنني لا أستطيع مقاومتك فترة أطول من ذلك، إنني فقير بائس يتخلل الخوف عظامي، إنني لمأستطع أن أمكث في مكان لأرتوي، ولم أستمع إلى الموسيقى، أنا جوعان وظمآن، عظامي تؤلمني، رأسي عارية، ملابسي رثة".

يستسلم تف-نخت، واستسلم معه حكام جميع الأقاليم في الشمال وهكذا أذعنت البلاد جميعها لحكم بعنخي المنتصر، الذي يعلن المسالمة لخصمائه، فيصدر العفو عن تف-نخت ويوقف الحرب ضده، ولا يحاول النيل منه حال ضعفه وهزيمته، (رمضان السيد، 1993: 254) ويرسل تف-نخت زوجته لمقابلة زوجات بعنخي لتشرح لهن موقف زوجاتها، ويعود بعنخي إلى العاصمة نباتا عند جبل البرقل إذ صار حاكما لمصر من البحر المتوسط حتى الجندل الرابع، ليصير بلا منازع ملك مصر العليا والسفلى، وملكا على السودان، وينقش لوحة معبد نباتا (أحمد فخري، 2012: 320) التي استقى منها المؤرخون لتكون مصدرا هاما عن تلك الفترة.

ترك بعنخي كل هؤلاء الأمراء ومنهم تف-نخت يحكمون أقاليم باسمه، ولم يعين أي موظفين أو ممثلين له على البلاد ولم يترك فيها حامية عسكرية، (أحمد فخري، 2012: 322)، بل اطمأن إلى وعود الأمراء التي قطعوها على أنفسهم وإن كان هذا يعد خطأ سياسيا فادحا أثر بالفعل على استقرار البلاد مرة أخرى، إلا أن ذلك يعد دلالة على شخصية بعنخي التي تنزع إلى السلم والمهادنة ونبذ الصراع، وفيه تأكيد على ما أشرنا غليه سالفا للموازنة بين استخدام قوة الردع العسكري وعدم الميل إلى العنف غير المبرر.

جاء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين من الجنوب في معتبرين من أنفسهم مقيمي الـ (ماعت) المفقودة، وانعكس ذلك في لغة خطاب الملك بعنخي على لوحته بالكرنك، (أحمد علي توفيق، 2010: 26) وتطلع إلى إعادة إحياء الماضي العريق لمصر وعودة الروح عن طريق بعث الماضي التليد من خلال مشروعه الحضاري، والذي أنجزته في عصور رقيها ونهضتها خاصة عصر الدولة القديمة.

وعلى حد سواء، كان تف-نخت وبعنخي قد اتخذا الألقاب الخمسة الملكية للفرعون المصري، ولا شك أن أمراء هذه الفترة كانوا على معرفة ببروتوكول الملكية المصرية وأسلوب تولي الحكم في البلاد، إلا أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين يمتازون على منافسيهم بأنهم كانوا أحفاد وأبناء كهنة آمون الذين كانوا هم القائمين بتأليف الأسماء الملكية وإعداد الفرعون لها (عائشة محمود عبد العال، 2004: 43).

كان الملك شباكا ابنا لبعنخي، وقد سار في سياسته حذو أبيه تقوى وورعا تجاه المعبود آمون (رمضان السيد، 1993: 254) واستمر بسط نفوذه على مصر كلها، واتخذ من نباتا عاصمة لحكم البلاد، وأصبح حكام نباتا كما هو واضح من عبدة آمون المخلصين. حرص شباكا على تأدية الواجبات الطقسية للإله آمون في الكرنك، كذلك كان يغدق على خزائن المعبد بالثروات تبجيلا لآمون.. وقبل المصريون في الجنوب بسماحة نفس حكم شبكا لهم، بل أعدوه ملكا مصريا وابنا مخلصا لآمون، وذابت حدود مصر الجنوبية مع حدود نباتا حتى صارت الحدود الجنوبية ممتدة حتى الشلال الرابع أو فيما ورائه.

يذكر مانيتون أن شباكا هو من أعاد غزو البلاد المصرية، وأنه هو الذي قتل بوخوريس (باك- ان-رنف) وخلد ذلك الانتصار في نقش على نص تذكاري (جاب الله، 1996: 64)

"شباكا، معطي الحياة، المحبوب من آمون أكثر من أي ملك آخر منذ نشأة الأرض، لقد ذبح أولئك الذين تمردوا عليه في الجنوب والشمال، وفي كل بلد أجنبي، سكان الرمال (حريو-شع) يسقطون خوفا منه ويأتون أسارى كل واحد منهم مستند على أخيه".

اتسمت تلك الفترة بالاضطرابات في بلاد الشام، ولما أصيبت به المملكة المصرية من الضعف السياسي فقد أثر ذلك على سياساتها الخارجية نحو ممتلكاتها في أسيا، فنتج عنه أن زحف الملك سنحاريب الآشوري نحو بلاد الشام، وكان ذلك لإخضاع الدويلات الثائرة وإعادتها إلى سلطة آشور عقب وفاة والده، الأمر الذي وصل به إلى أن امتد في غزوته تلك إلى أن أوقع القدس تحت سيطرته، وفرض عليها الجزية، إلا أن الملك النوبي طهرقا قام بالعودة وسحب قواته خوفا من الاصطدام بالملك الآشوري، وقد روت كل من التوراة وهيرودوت روايتين مفادهما أن الحاكم النوبي على مصر قد هزم الملك الآشوري في البلوزيوم التي تمركزت فيها فرق قواته، وهناك حيث أصيب جيشه بالطاعون (الفئران التي ذكرها هيرودوت) كانوا جنوده فرائس سهلة لجيش المصريين الذي لم يتكون –حسب رواية هيرودوت- سوى من بعض التجار والصناع هواة القتال، وليس من القوات العسكرية المصرية الأساسية. (جاب الله، 1996: 67)

غارات الآشوريين وتخريب مدينة طيبة:

مما سبق نرى أن محاولات إعادة استتباب النظام واستعادة توطيد ركائز الحكم على يد حكام الأسرتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين، وما مر بين ملوكها من سجال ونزاع فاز في النهاية وبشكل مؤقت حكام الأسرة الخامسة والعشرين الكوشيون، إلا أن هذا الاستقرار الذي بات ملامحه تتضح كانت تعيقه مجموعة من الغزوات الآشورية التي هددت البلاد المصرية من الشرق.

كانت جهود الأسرة الخامسة والعشرين كانت حميدة المسعى لكنها تقوضت على يد هؤلاء الغزاة، وتعود الفوضى والاضطراب إلى مصر، (أحمد فخري، 2012: 328) ففي عام 671 ق.م يشن أوسرحدون هجوما على البلاد (رمضان السيد، 1993: 259) ويقوم طهرقا بمحاولة الانسحاب أمام هذه القوات الغازية، ويدفع الثمن من مقدرات الجيش المصري المتمثل في مجموعة الحاميات العسكرية الرابضة في المنطقة الشرقية، ويسقط مركز الحكم في منف، ويأسر أوسرحدون الحريم الملكي وأبناء طهرقا، ويفتخر بذلك ويدعي أنه استأصل شأفة الكوشيين وقضى على سلالتهم، ويقوم مونتومحات –حاكم طيبة- بدفع الجزية للملك الآشوري بعدما يعترف له بتوليه حكم مصر، متفاديا الزحف الآشوري على طيبة. ويستطيع طهرقا بعد هذا الانسحاب المؤقت، أن يتبع سياسة الكر والفر، فيعود إلى منف في سنة 669 ق.م (رمضان السيد، 1993: 262) ويحاول عقد تحالف مع أمراء آسيا الصغرى ضد الاحتلال الآشوري، وبالفعل يجتمع في طيبة بهؤلاء الأمراء لهذا الغرض، وينسحب أوسرحدون إلى الشرق لأسباب غير معلومة، ويتولى ابنه آشوربانيبال استئناف مشروع أبيه في غزو مصر، فتتبع جيوش الآشوريين طهارقا حتى الجنوب، وبالفعل يدخل الآشوريون طيبة، وتتعرض للسلب والنهب على أيديهم لكنها تنجو من الدمار.

في عام 664 ق.م يصعد على عرش طيبة ونباتا الملك تانوت آمون ويسقط منف يتحالف مع أمراء الدلتا جميعا ضد الآشوريين (رمضان السيد، 1993: 263) وكان لا يزال مونتومحات حاكما لطيبة (أحمد فخري، 2012: 329) ولكن يعود آشوربانيبال مرة ثالثة أكثر شراسة، فيقوم في نفس عام تتويج تانوت آمون، بالإغارة على طيبة ليستولي عليها ويدمرها تدميرا، ويذكر العهد القديم في سفر ناحوم (3: 8) أن أطفالا قد قتلوا في كل مكان، وحكم على نبلائها بالنفي والأسر، وقيد كل كبار نبلائها بالسلاسل الحديدية.

إن ما شهدته مدينة طيبة على يد الغزوة الآشورية الثالثة كان أمرا جللا، أصاب بالهلع أهل مصر، (رمضان السيد، 1993: 264) وامتد ليصيب العالم القديم بأسره، حتى أتى ذكر هذه الحادثة في العهد القديم دلالة على التأثير الشديد لهذه الحادثة في واقع العالم القديم.

يذكر منتومحات في نقش له بالكرنك (Leclent, 1961: 202; Weigall, 212; Breasted, 1906: §901- 916 ; Mariette, 1875: 42- 44) يسرد ما قام به من أعمال لمحاولة إعادة بناء ما دمره الغزو:

"لقد طهرت كل المعابد، وهذا ما يجب عمله لأنها سرقت بعد غزوة قام بها أجانب أنجاس"

اعتبر منتومحات ما حدث أنه عقاب سماوي، وكان يضني نفسه بحثا في الوصول إلى حل يعيد به الهيبة إلى المعابد والمقدسات الطيبية (رمضان السيد، 1993: 264) وقد أعاد تشييد عدد من المباني واستحدث أمورا:

- شيد قاربا جديدا كان مخصصا من قبل في إقامة احتفالات آمون.
- شيد معبدا جديدا بدل الذي تهدم للإلهة موت زوجة آمون.
- قام بتنظيف البحيرة المقدسة بالكرنك.
- أصلح تماثيل المعبود خونسو ابن آمون، وشيد له تماثيل جديدة ولأبيه آمون.

- رمم تماثيل المعبودات والمقاصير في الكرنك.
- شيد تمثالا للمعبود مين شمال الأقصر وهو المعبود المحلي للمدينة.

والسؤال الآن: ما أهم مميزات مظاهر الصراع بين الأسر الملكية المتحاربة خلال عصر الانتقال الثالث؟

إن بعنخي وتف-نخت في المرحلة النهائية للصراع في العصر المتأخر بين ملوك الشمال والجنوب يمكن أن نعتبرهما نموذجان للملك المصري الطموح، المتحلي بالصبر والكفاح والرؤية السياسية للقيام بتوحيد البلاد على يديه، وكان كلاهما بطلا وطنيا انتفض لكبح جماح الفوضى والخراب اللذين أصابا البلاد والعباد. وفي الوقت الذي كان فيه سياسيا محنكا، نجد بعنخي كان رجلا تقيا ورعا لا يرى في سفك الدماء أو الصراع العسكري سوى حلا ثانويا ينزع عنه فورا إذا ما تبادر من خصمه الوصول إلى الوفاق، وينبذ العنف، كما امتلك جيشا موفور العتاد والرجال. وقد دافع كل من تف-نخت وبعنخي عن وحدة البلاد بحسب ما تراءى لكل منهما من مصلحة، وكان أسلوب كفاحهما وأخلاقهما العسكرية هي أخلاق الفرسان دليلا على رسوخ تقاليد الملكية المصرية العريقة في نبذ العنف والميل إلى السلم وتوحيد القوى، امتلك كل منهما وعيا قوميا ويقظة وطنية، لتنتهي هذه الفترة من الصراع وينبعث عصر جديد، عهد نهضة أشرقت بوادره بظهور الأسرة السادسة والعشرون.

أورد هيرودوت في تاريخه إشارة حول أخلاق قمبيز ووصفها بالـ" وقاحة"، وأنه قام بقيادة حملة جيوش الفرس بنفسه والتي ظلت تمتد في زحفها إلى الجنوب حتى اتخذت حامية فارسية هناك في جزيرة فيلة .واشتعلت الثورة المصرية ضد الفرس في جميع أنحاء البلاد، وشهد سترابون احتراق بعض المقاصير على يد الفرس في مدينة أون هليوبوليس، وأكد على ذلك برديات جزيرة فيلة.

امتلك قمبيز طموحا هائلا في احتلال العالم وحاول أن يرسل جيشا ليهدم معبد وحي آمون في سيوة، ردا على نبوءة كهنته بزوال حكم الفرس على مصر، وتوالت أساليبه العنيفة في معاملته تجاه المصريين 0.وفي حملة قمبيز هذه قام بخرق جميع الأعراف العسكرية والأخلاقية التي تنص عليها كل من الديانة المصرية والفارسية، حيث :

قام قمبيز بنبش قبر أمازيس، وحرق مومياءه الملكية طبقا لهيرودوت.

اعتدى قمبيز على المقابر المصرية وتماثيل المعبودات في معبد بتاح في منف .

أورد هيرودوت وقوع حادث مشين وهو قيام قمبيز بإحراق العجل المقدس) أبيس- (وإن صدقت رواية هيرودوت -فإن هذا الفعل يمثل أسوأ إهانة تلقاها المصريون في تاريخهم، وإن كانت هذه الرواية – في الوقت ذاته -تصور نهاية قمبيز بصورة أكثر مأساوية، ويمكننا أن نرى رواية هيرودوت جاءت بإيعاز من الكهنة لتؤيد ما كتب عن قمبيز وصلافته وهجوما على فترة حكمه، دليلا على أن الانتصار الفارسي كان أمرا غير مرغوب فيه .

وإن كان قد وصل إلينا من الأدلة الأثرية تابوت لمومياء العجل أبيس، مؤرخ بحكم قمبيز، منقوش عليه ما يلي" :***حور سما-تاوي، ملك مصر العليا والسفلى، مسوتي رع، سا رع، قمبيز، له الحياة الدائمة ! لقد صنع جلالته هذا الأثر، هذا التابوت الحجري من الجرانيت،) المنحوت (لأجل أبيه أوزير -أبيس،***

أهداه جلالة ملك مصر العليا والسفلى، سا رع، قمبيز، له الحياة الأبدية والخير والصحة ايتجلى كملك مصر العليا والسفلى ."ويدل هذا النقش على أن قمبيز اتبع طقوس الملوك المصريين واتخذ على عاتقه مسئولية الاعتناء بالعجل المقدس ودفنه، والذي نتفهمه أن ذلك العجل مات في العام الخامس من حكم قمبيز، فلا يمكننا القطع بأن قمبيز اتبع سياسة الاحترام تجاه عبادة) أبيس -أوزير وتبجيل العجل المقدس لمجرد الاعتماد على هذا النقش، إذ أنه من المحتمل أن يكون الكهنة أنفسهم قد قاموا بدفن العجل أبيس دون علم قمبيز نفسه، الذي ربما يكون طعن عجل أبيس الأصغر قبل دفن مومياء سلفه في التابوت المشار إليه .

فرض دارا على المصريين ضرائب فادحة عانى منها الشعب، فقامت ثورة في الدلتا حوالي عام 486ق.م، وجاءت إشارات في بعض الخطابات عن استيلاء الثوار على شحنة إحدى السفن المحملة بالغلال، ولكن توفي دارا قبل القضاء على هذه الثورة، وتولى من بعده زيركسيس الأول الحكم واستطاع أن يقضي بنفسه عليها، إلا أن المصريين لم يتوانوا عن الاستمرار في مقاومتهم فاستطاعوا اغتيال الساتراب الفارسي فراندتس .

أورد هيرودوت أن المصريين وقفوا في وجه" زيركسيس "وقاموا بتأجيج ثورة عارمة ضد توليه الحكم، إلا أنه قام بقمع هذه الانتفاضة، وأخضع المصريين وجعلهم في مذلة العبودية أكثر من عهد سلفه الملك دارا نفسه .

ضربت البلاد حالة من الفوضى إثر وفاة زركسيس، وأورد ديودور الصقلي أنه أتبعها ثورة عارمة قامت في البلاد ضد خلفه آرتازركسيس الأول في بداية حكمه 464 ق.م ، ووصل من الواحات الخارجة نقش بالديموطيقية يؤرخ لاسم القائد الذي قام بهذه الثورة ويدعى) إيناروس (ولقبه" أمير الثورات "وتعود أصوله إلى غربي الدلتا، ويرى ثيكوديدس أن إيناروس كان ابنا للملك بسماتيك الذي لقي الهزيمة على يد قمبيز، إلا أنه لم يحصل على أي لقب ملكي.

استطاع إيناروس خلال عام 460 ق.م وبمساعدة أحد أمراء سايس ويدعى) أميرتي (أن يتلقى مساعدات عسكرية لمدة خمس سنوات من البحرية الأثينية عبارة عن 200 سفينة كان تمركزها في جزيرة قبرص، وتمكن في هذه الفترة من حماية عدد من الأقاليم المصرية في الدلتا .ولم يقف الفرس أمام هذا الأمر مكتوفي الأيدي، إذ حاولوا ضرب حصار حول مدينة منف، إلا أن المصريين هزموا قوات الفرس بمساعدة تلك القوات البحرية عند الجدار الأبيض inb HD ، واقتحم الثوار منف ودحروا قوات الفرس وأرسلوا جثة الساتراب آخمينيس Achaemenes إلى ابن أخيه الملك آرتازركزيس.

تمكن القائد إيناروس من طرد بعض القوات اليونانية الموالية للفرس ومطاردتها حتى الإقليم الرابع في الدلتا، في حين أن) أميرتي (يقود الثورة من جزيرة) إليو (الصغيرة في مستنقعات الدلتا ، وهكذا نجح كفاح الثوار المصريين في هزيمة الجيش الفارسي .

أتى على مصر حاكم فارسي جديد يدعى) أرسامس (بعد عام ونصف فقط من أحداث منف، واصطحب هذا الساتراب إمدادات كبيرة من سفن فينيقية وقوات مصاحبة تجمعت في Cilicia وفينيقيا تحت إمرة القائد ميجابيزوس Megabyzus ابن زوبيروس Zopyrus تمكنت هذه القوات من تخفيف وطأة الضغط على الجيش الفارسي وأجبرت القوات المصرية واليونانية على التقهقر أمامها .وطبقا لرواية كل من ديودور الصقلي 0وكتسياس 0Ctesias سمح الفرس للآثينيين بالانسحاب الآمن من مصر، وعلى هذا يكون إيناروس قد تعرض للخيانة، مما أنهى على هذه الثورة التي تزعمها .في حين قامت ثورات أخرى غرب الدلتا، ولكن لموقعها البعيد جغرافيا عجزت عن إحداث الأثر ولم تصمد أمام القوات الفارسية الغازية.

تفجرت ثورة وطنية جديدة في عام 414 ق.م في عهد دارا الثاني قادها) أميرتي (وقد يوافق اسمه اسم جده رفيق إيناروس، وتدهورت القوة الفارسية حتى موت دارا الثاني، وتنسمت البلاد الحرية بعد عشر سنوات في 404 ق.م، ثم تشتعل الثورة مرة أخرى في نفس العام ويمتد لهيبها إلى الصعيد ليستمر صراع ست سنوات ويتوج أميرتي ملكا على مصر كلها. وفي نهاية هذا الصراع اخترق قمبيز الحدود المصرية الشرقية على رأس جيش من الفرس والمرتزقة اليونانيين، ليحاصر منف ويقبض على الملك بسماتيك الثالث، في عام 525 ق.م .

المراجع:

أولا: المراجع العربية

أحمد علي توفيق، *"الأسرة الخامسة والعشرون أصول نشأتها في كوش"*، دورية كان التاريخية، العدد التاسع، (القاهرة 2010)
أحمد فخري، الأهرام المصرية، (الأنجلو المصرية، القاهرة 1998)
أحمد فخري، مصر الفرعونية، (القاهرة 2012)
بهاء الدين إبراهيم، الشرطة والأمن الداخلي في مصر القديمة، (االقاهرة 1986)
رمضان السيد، تاريخ مصر القديمة، جـ 2، (االقاهرة 1993)
صابرين عبد الله فهمي، *"الدور الاجتماعي لسيدات عصر الانتقال الثالث حتى العصر الصاوي"* ، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد العشرون، الجزء الثاني، كلية البنات، جامعة عين شمس (القاهرة 2019)
عائشة محمود عبد العال، الملكية الإلهية في العصر المتأخر، (القاهرة 2004)
عبد العزيز صالح، مصر والشرق الأدنى القديم، (الأنجلو المصرية، القاهرة 1990)
منال محمود محمد، الجريمة والعقاب في مصر القديمة، (االقاهرة، 2003)

ثانيا: المراجع الإنجليزية:

A. H. Gardiner, A Political Crime in Ancient Egypt, JMEOS, II, (1913)
Adams, W. Y., Nubia: Corridor to Africa, (London, 1977)
Allen, T. D., The Ancient Egytian Family: Kinship and Social Structure, (New York, 2009)
Baines, J., and J. Malek. *Atlas of Ancient Egypt.* New York: Equinox Books, 1980
Bard, K. *From Farmers To Pharaohs: Mortuary Evidence for the Rise of Complex Society in Egypt.* England: Sheffifi eld Academic Press, 1994
Bohannan, P., and M. Curtin. Africa and Africans. New York: Natural History Press, 1993.
Bowman, A. Egypt After The Pharaohs: 332BC-AD642. Los Angeles: University of California Press, 1986.
Breasted, J. H., AR IV., (Chicago,1906)

Drioton, E.; Vandier, J., L' Egypte , (Paris 1962)
Dumas, F., La Civilisation de L' Egypte Pharaonique, (Paris, 1987)
Grimal, N. , Histoire de L'Egypte Ancienne, (Paris, 1988)
Herodotus of Halicarnassus; The Histories; An account of great and marvelous deeds through the 1920 translation of A. D. Godley, (Pax librorum, 2010).
Harari, Le Pricipe Juridique de l'Organisation Sociale dans la decret de Seti I a Nauri (Brussels, 1974)
Kemp, B. J., Ancient Egypt: Anatomy of Civilization, (London, 1991)
Leclent, J., Montouemhat, (Cairo, 1961)
Mariette, Karnak, (Leipzig, 1875)
Redford , Donald B., The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, (3 vols.), New York, 2001
Sauneron, S., Les Pretres de L' Ancienne Egypte, (Paris, 1975)
Vercoutter, J., L'Egypte Ancienne, (Paris, 1946)
Weigall, A., Histoire de l'Egypte Ancienne (Paris, 1949)